القضية اليهودية !..

بقلم فيدرو دوستويفسكي

ترجمة الدكتورة حياة شرارة

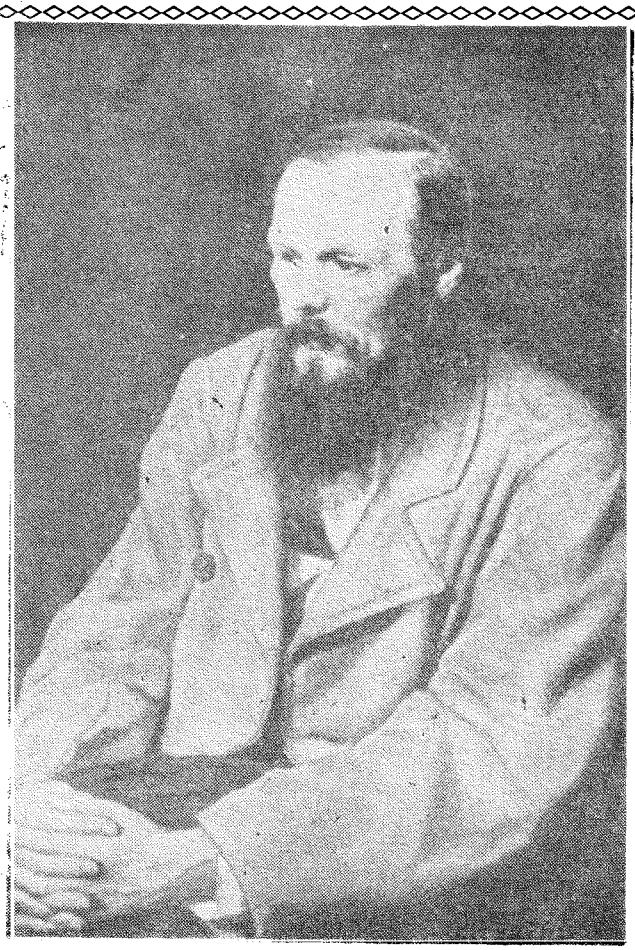

هذا المقال * للروائي الروسي المعروف فيدور دوستويفسكي ، وهذا الكاتب لم يكن قوميا عربيا متعصبا او شوفينيا ، بل كان انسانا عميق الانسانية شغوفا بالخير والمثل الروحية . وقد كتب هذا المقال عام ١٨٧٧ في وقت كانت الصهيونية وافكارها ومخططاتها واهدافها المعروفة في الوقت الراهن لم تزل جنينا ينمو في الخفاء والعلانية . ولكن التربة التي غذتها وامدتها بالقوة والحيوية وقدمت لها الاساس الفكري والمادي كانت مهياة وموجودة منذ ذلك الحين بل قبله .ويكتسب هذا المقال اهمية خاصة لانه صادر عن اديب عالمي كبير يلمع اسمه بين مشاهير الكتاب العالميين اولا ولان المقال كتب قبل حوالي قرن، ولكن دوستويفسكي بقدرته الجبارة على النفاذ الى اعماق النفس البشرية وامكانيته الواسعة على تحليل الافكار والخصال والاعمال والعواطف تحليلا دقيقا استطاع ان يلقي اضواء كشافة على قضية هامة لنا نحن العرب . والمقال وان كان يدور حول الروس ويهود روسيا ، يلقي اضواء على الروحية اليهودية في اطارها الكبير . وعندما يتحدث دوستويفسكي عن العجرفة والتعالي والقسوة اليهودية، نحس انه مزود بعدسة رائعة تطل من قبل قرن على ما جرى في دير ياسين وقبية والسموع وغيرها وما يجري الان في ارض فلسطين المحتلة .

لقد قامت اسرائيل لتبرهن عمليا على كل ما قاله دوستويفسكي، وعلى كل ما أحس به ، وعلى اليهود الشرفاء ان يقوموا الان بدورهم، وان يفضحوا الجرائم التي ترتكبها اسرائيل وان يتبرأوا من العجرفة والقسوة التي تنبع في كل نفس صهيونية حتى يبقى لليهود صوت شريف في التاريخ .

المترجمة

لا تتصور انني سابدأ بطرح « القضية اليهودية ! » فقد كتبت هذا العنوان للمزاح فقط . اذ ليس بمستطاعي ان اطرح قضية كبيرة كهذه وهي حالة اليهودي في روسيا ووضع روسيا التي يقطنها ثلاثة ملايين من ابنائها اليهود . هذه المسالة فوق طاقتي ، ولكن لديّ بعض الاراء الخاصة حول هذه القضية . وقد اخذ البعض من اليهود يبدون اهتماما مفاجئا بارائي . ومنذ وقت قصير بدأت اتسلم منهم رسائل ، وهم يعنفونني بمرارة وجد لانني اهاجمهم « ولانني اكره اليهودي » اكرهه لا لعيب فيه ، لا كاستغلالي وانما اكرهه كقبيلة الخ .. باعتبار ان « يهوذا باع المسيح » .يكتب« هذا » اليهود المثقفون ـ اقول هذا ولا اريد ابدا ان اعمم ملاحظتي ، وابدي تحفظي مسبقا ـ الذين يحاولون دائما ان يظهروا لك انهم لثقافتهم لا يشاركون « معتقدات »قومهم وهم لا يقومون بشعائرهم الدينية كما يفعل اليهود ، لان هذا لايتفق مع ثقافتهم ويدعون انهم لا يؤمنون بالله . واقول بالمناسبة انه لمن الخطيئة ان ينسى هؤلاء السادة من « علية اليهود » الذين يدافعون بقوة عن قوميتهم ، نبيهم صاحب التاريخ الذي يمثل اربعين قرنا وان يتخلوا عنه .على ان هذا التخلي لم يكن بدافع الشعور القومي بل بدافع اسباب مهمة اخرى . والحقيقة ان ذلك شيء غريب فاليهودي بدون الله لا يمكن تصوره . وهذا موضوع واسع لن اخوض به في الوقت الحاضر . ولكن الذي يدهشني ان اتهم بكره اليهود ، فكيف وقعت في هذا الكره لهم كشعب وقومية ؟ ان اولئك السادة انفسهم ـ ولو في الكلام فقط ـ يسمحون لي لحد ما ان ادين اليهودي كاستغلالي ولبعض عيوبه . في الواقع ، من الصعب ان تجد من هو اكثر ربا واثارة للاعصاب من اليهودي المثقف، ولا من هو اسرع منه تاثرا كيهودي . ولكن مع ذلك يحق لي ان اتساءل متى وكيف اظهرت كرهي لليهود كشعب ؟ ان قلبي لا يعرف الكره لليهود ابدا وهذا ما يعلمه اليهود الذين لهم علاقةبي . واود من البداية ان ارفع هذا الاتهام الى الابد لكي لا أعود للتنويه به فيما بعد . اليس سبب

* ـ المقال مترجم عن اللغة الروسية من كتاب « يوميات الكاتب» لفيدور دوستويفسكي . طبعة ١٨٨٥ .

اتهامي « بكره اليهودي انني اسميه احيانا « جيد » (1)؟ لا اعتقد اولا ان هـذا مؤثر وثانيا لقـد استعملت كلمة « جيد » غالبا للدلالة على فكـرة معينة وهي « الجيد ، والجيد وفشنا ومملكة الجيد » وغيرها .

وقد عنيت بهـا ميزة ومفهوما واتجاها معينـا للعصر . من الممكن عدم الاتفاق مع هـذه الفكرة او مناقشتها ولكن لا يجب التاثر منها . وفيمـا يلي نقل مقتطفات من رسالة طويلة ولطيفة بعث بها لي احـد المثقفين الكبار ، وقد اعجبتني كثيرا في بعض النواحي وتحتوي على احد الاتهامات المعروفة التي تظهر كرهي لليهود كشعب . ومن الطبيعي ان يبقـى اسم السيد ن .ن صاحب هذه الرسالة في سرية تامة

« اود التطرق لموضوع لا استطيع توضيحه بتاتا ، وهو كرهـك لليهودي الذي يظهر في كل عدد من مذكراتك .

اريـد ان اعرف لماذا تقف ضد اليهودي لا ضد المستغلين بصورة عامة ، فانـا لست اقل منك ضيقـا باراء قوميتي الباطلة وقد عانيت منهم غير قليل . ولكـن لا يمكنني الاتفاق ابدا مع الرأي القائل بـان في دمـاء هذه القوميـة استغلالا بشعـا .

احقـا انه لا يمكنك الارتفاع الى معرفـة القانون الاساسي لكـل حياة اجتماعية وهو ان الجميـع بدون استثنـاء مواطنو دولة واحدة، واذا كـانوا جميعهم يقومـون بكـل الواجبات فـمن الواجب على الدولة ان يتمتعـوا جميعهـم بكـل الحقوق والفوائد الناجمة عن وجودهـا وان تكـون هنـاك عقوبات عامة لجميع العناصر الخارجة على القانون: فلماذا كانت تحديدات لحقوق اليهـود ولـماذا شرعت قوانين تاديبيـة خاصـة بهـم ؟ فبم يختلف استغلال الاجانب من الالمان والانكليـز واليونانيين الذين عددهم كبير جدا في روسيا عن الاستغلال اليهودي؟ ـ اليهود روس على كل حال ـ وايـة حسنة للكولاك الروس الارثوذكس والشحاذين وبائعي الخمور ومصاصي الدماء الذين عشعشوا في جميع ارجاء روسيـا عن اليهـود الذيـن يعملون في نطاق محدود ؟ فماالشيء الذي يجعل اولئك احسن مـن هؤلاء ؟»

ثم يذكر كاتب الرسالة عددا من الكولاك الروس المعروفين . ولكن ما يعني ذلك ؟ فنحن لا نطري الكولاك الروس ولم نجعل منهـم مثـالا للاقتداء به ، بل على العكس فنحـن متفقـون ان الكولاك سيئون سواء كانـوا روسـا او يهودا . ويستطرد كاتب الرسالة قائلا :

« يمكنني ان اوجه لك آلاف الاسئلة من هذا النمط ،وعلى فكرة، فعندمـا تتكلم عن اليهودي فانك تدخل في هذا المفهوم الثلاثة ملايين يهودي المعدمين في روسيـا ومن بينهم ما يقرب من مليونين و٩٠٠،٠٠٠ على الاقل يناضلـون نضالا يائسا من اجل لقمتهم وهم اخلاقيا اطهـر لا مـن الشعوب الاخرى فقط بل مـن الشعب الروسي الذي تقدسه . انك لا تعتبر اليهود ، ومن ضمنهم الذين حصلوا على تعليم عال ،مختلفين في سلوكهم بالنسبة للدولة ولناخذ على سبيـل المثال .. »

ثم يعدد اسماء لا يجوز نشرها باستثناء غولدشتين وربما يكـون من غير اللائق ان نعرف انهم من اصل يهودي . ويواصل كاتـب الرسالـة :

« ان غولدشتين مات موتا بطوليا في سيبريا لدفاعه عن الافكـار السلافية وعمل لمصلحة المجتمع والبشرية . ويمتد كرهك لليهـودي الى دزرائيلي ، الذي ربمـا لا يعرف ان اسلافه من اليهود الاسبان وهو لا يسترشد في سياسته الانكليزية المحافظة طبعـا بوجهة نظر اليهودي .

انك مع الاسف لا تعرف الشعب اليهودي لا حياته ولا روحيتـه ولا تاريخـه الذي يبلـغ اربعـة الاف سنة . وبالرغم من انك انسـان مخلص وشريف للغايـة فانك تحمل مع الاسف في نفسك عداء عفويـا لجماهير الشعب اليهودي المعدمة . ان « اليهود » الاقوياء الذيـن يستقبلـون في صالوناتهم سادة العالم لا يخشون الصحافـة او حتى غضب المستغلين . اتوقف عن الحديث حول هذا الموضوع فمن العبث ان اقنعك بوجهـة نظري ولكني ارغب كثيرا ان تقنعني انت » .

1 ـ كلمة تحقير تطلق على اليهودي وهي اوكرانية الاصل .

هذه مقتطفات من الرسالة ، وقبل البدء في الاجابة ـ لا اريـد تحمل مثل هذه التهمـة الكبيرة حول كره اليهودي ـ اود ان الفت نظركم الى هجوم كاتبهـا العنيف وتكدره الكبير . والواقع انه خلال سنـة اصدار « يومياتي » لم تكـن هناك مقالات ضد اليهودي تدعو الى هذا الهجوم الشديد علي" اولا ، وثانيا يجب ان لا نغض الطرف عن كـون كاتب الرسالة المحترم الذي تطرق في هذه السطور القليلة الى الشعب الروسي لم يتجلد ولم يتحمل الا ان ينظر الى الشعب الروسي المسكيـن نظرة متعاليـة للغاية . في الحقيقة ان الروس لم يبقوا مكانا نظيفا (كلمات شدرين) ولكـن ذلك يتضاءل امـام ما فعله اليهود .

ان هذه اللهجـة الشديدة تدل على أي حال وبوضوح على الكيفية التي ينظـر بهـا اليهـود الى الروس . لقـد كتب هذه الرسالة رجل مثقف وموهوب حقا ـ ولكـن لا اعتقـد انه غير متحيز ـ فمـاذا ننتظر بعد هذا من اليهود غير المثقفين الذيـن يحملون الكثير من امثال هذه المشاعـر نحـو الشعب الروسي ؟ أنا لا أقول ذلك لغرض الاتهام بـل لابين ان المسؤول عن دوافع اختلافنـا مـع اليهـود ليس الشعـب الروسي وحده بـل كـلا الطرفين ، ولا ندري اي الاطراف اقوى . لقد اشرت الى هذا لكي اقول بعض الكلمـات حول نظرتي لهذه القضيـة. وربمـا تكـون الاجابة على هذه القضيـة فوق طاقتي ولكني استطيع على كل حال التعبيـر عن وجهـة نظري .

مـع وضـد

لنفترض انه مـن الصعب معرفـة تاريخ هذا الشعب البالغ مـن العمـر اربعيـن قرنـا كمـا يعرفـه اليهود ، ولكني اعرف على كل حال شيئـا واحداوهو انـه لا يوجـد في العالم اجمع شعب آخر يشكو مثله من سوء حظه ويعلن في كـل لحظة او خطوة او كلمة عـن آلامه وعذابـه ووضعـه . كمـا لو كـان اليهـود لا يسـودون اوروبـا ولا يسيطرون لا على البورصـة فحسب بل على السياسة والقضايا الداخلية واخلاقيـة الدولة .ليكن غولدشتين قد مات في سبيل الفكرة السلافية ولكـن لولا قوة الافكار اليهوديـة في العالم لحلت القضية السلافية منذ زمـن بعيـد لمصلحـة السلافيين لا فـي مصلحـة الاتـراك . يمكن الاعتقـاد ان اللورد بيكـونسفيلد قد نسي اصلـه الذي يعـود الـى اليهـود الاسبان ـ ومع هـذا فهـو لم ينس ـ ولكن لا يمكـن الشك في ان بيكونسفيلد يوجه السياسة المحافظة الانكليزية مـن وجهة نظر اليهودي بشكل خاص ، ولا يمكـن الشك بهذا او عدم التسليم به . ليقل ان كلامي يتضمـن لهجـة مستخفة ولكنـي لا استطيع الايمـان بصيـاح اليهـود بانهم مهانون ومساكين ومعذبون . فالفلاح الروسي والشعب الروسي البسيط بصورة عامة يتحمل عبئا اكبر مـن اعبـاء اليهـود . ويكتب لي صاحب الرسالة في رسالة اخرى قائلا :

« يجب ان يمنحوا (اليهود) قبل كل شيء الحقوق المدنيـة ـ تصور انهم محرومون حتى الان من الحقوق الاساسية في اختيار مكان السكن الذي ينتج عنه الكثير مـن التضييقات الفظيعة لجماهير اليهود ـ مثل بقيـة القوميات الاخرى في روسيا ثم يطلب منهم تادية واجباتهم نحـو الدولـة والسكان الاصليين » .

ولكن فكـر قليـلا يا صاحب الرسالة ، فانت تكتب لي في مكان آخـر « انك تحب الشعب الروسي وتشفق عليه اكثر من الشعـب اليهودي » . هذه مبالغـة كبيرة بالنسبة لليهودي . فكر في هذه المسالة وهي انه عندمـا تحمل اليهودي تقييد حرية اختيار مكـان السكن فان ثلاثـة وعشريـن مليونـا روسيا تحملوا النظام العبودي وهو اشق طبعا من « اختيار مكان السكن » .

هل اشفق اليهود عليهم في حينها ؟ لا أعتقد ، ان اقاصي غـرب روسيـا وجنوبها تعطينا جوابا موضوعيا حول هذه النقطة . ففي ذلـك الوقت ملأ اليهـود الدنيـا بالصراخ حول حقوقهم التي لا يملك الشعب الروسي نفسه شيئا منها . لقـد زعقـوا وشكـوا بانهم معذبـون

مغمورون وانهم عندما يمنحون حقوقا واسعة عندها فقط يمكن ان يطلب منهم تأدية واجباتهم حيال الدولة والسكان الاصليين . ولكن ها قد تحرر الشعب الروسي من العبودية فماذا حدث ؟ من انقض حالا عليه كما ينقض على الضحية ، ومن استغل بدرجة كبيرة نواقص هذا الشعب وانتهك حقوقه بمشاريعه المالية المستمرة ؟ ومن احتل حيثما استطاع مكان الملاك الكسالى ، لقد استغل الملاك الروس الناس استغلالا شديدا ولكنهم مع ذلك حاولوا ان لا يلحقوا الخراب بالفلاحين من اجل مصلحتهم الخاصة اي انهم ابقوا على قوة العامل العامل واستثمروها . اما اليهودي فما همه الابقاء على قوة العامل الروسي ، بل مصها الى آخر قطرة وذهب . انا اعلم ان اليهود عندما يقرأون هذا يصيحون انه افتراء وانني اكذب ولذا اؤمن بكل هذه الحماقات وانني « لا اعرف تاريخ الاربعين قرنا » لهؤلاء الملائكة الاطهار الذين هم « اخلاقيا اطهر بدرجة لا تقارن لا من الشعوب الاخرى فقط بل ومن الشعب الروسي » ، كما يقول كاتب الرسالة . وليكن .. ليكونوا اطهر اخلاقيا من جميع شعوب العالم ومن ضمنها الشعب الروسي وقد قرأت بالمناسبة في عدد مارس في مجلة « فيستنيك يفروبي » خبرا يفيد أن اليهود في الولايات الجنوبية من امريكا قد انقضوا على جماهير الزنوج المحررين واصبحوا في قبضتهم على طريقتهم الخالدة المعروفة « بتجارة الذهب » ، واستفادوا من نواقص القبائل التي يستغلونها . لقد تذكرت حالا لدى قراءة هذا النبأ ما ورد في خاطري قبل خمسة اعوام من ان الزنوج قد تحرروا من سيطرة ملاك العبيد ولكن سيمسهم الاذى سيقعون ضحية رخيصة في قبضة اليهود ، وما اكثرهم في العالم . ثقوا ، لقد فكرت بهذا وتساءلت في نفسي في تلك الفترة لماذا لا نسمع شيئا عن اليهودي في امريكا ولماذا لا يكتبون عنهم في الجرائد ؟. ان هؤلاء الزنوج بمثابة كنز لليهود ، امن المعقول ان يسقطوهم من حسابهم ؟ فانتظرت وها هم يكتبون حولهم في الجرائد . وقد قرأت قبل عشرة ايام في « نوفيه فريما » (عدد ٣٧١) تعليقا جاء فيه « لقد انقض اليهود على سكان ليتوانيا المحليين لدرجة كادوا ان يهلكوهم جميعا بشرب الفودكا لولا القسس الذين انقذوا هؤلاء المساكين المخمورين مهددين اياهم بعذاب الجحيم اذا لم يكفوا عن الشرب وكونوا بينهم جمعية من الراشدين » . ان هذا المراسل المثقف سيحمر طبعا من شعبه الذي لا زال يؤمن بالقسس وبعذاب الجحيم . ويذكر المراسل ان الاقتصاديين المحليين المثقفين قد اقتدوا بالقسس وشرعوا في تاسيس بنوك زراعية لانقاذ شعبهم من ربا اليهود بالذات واقاموا اسواقا زراعية ايضا لكي تستطيع « جماهير الشغيلة الفقيرة » الحصول على المواد الاستهلاكية الضرورية باسعار اعتيادية . لقد قرأت كل هذا واعرف انهم سيصرخون حالا ان كل هذا لا يدل على شيء والسبب يكمن في ان اليهود مضطهدون وفقراء وهذا صراع على البقاء وان الحمقى وحدهم لا يفقهون هذا ولو كان اليهود اثرياء لا معدمين لاظهروا انفسهم في غاية الانسانية ولادهشوا العالم قاطبة . ان هؤلاء الزنوج واللتوانيين افقر من اليهود الذين يمصون دمهم بالتاكيد ، ولو كانوا هم محل اليهود لاستنكفوا عن التجارة التي تقود اليهود انفسهم الى التدهور . ثانيا ليس من الصعب ان تكون انسانيا واخلاقيا عندما تكون مرتاحا وتعيش في رغد وعندما يجري « صراع على البقاء » لا يمسك . هذه الخصال ليست بنظري خصالا ملائكية وانا طبعا لا اجعل من هذين الخبرين الواردين في مجلتي « فيستنيك يفروبي » و« نوفيه فريما » حقائق حاسمة .

ولو بدأنا في كتابة تاريخ هذه العشيرة العالمية لامكننا الوقوع حالا على مئات الالاف من امثال هذه الحقائق بل واقوى منها . واذا كانت حقيقة او حقيقتان لا تعنيان شيئا فمن الطريف عندئذ التذكير انك اذا كنت بحاجة اثناء النقاش او التفكير لمعلومات حول اليهودي واعماله فلا داعي للذهاب الى المكتبات للقراءة او العودة الى الكتب القديمة او الى ملاحظاتك الخاصة المكتوبة . ولا تتعب او تبحث او تجهل نفسك ، بل لا تغادر حتى مكان جلوسك او اترك مقعدك . مد يدك الى اول جريدة تقع عليها وابحث في الصفحة الثانية او الثالثة فستجد حتما شيئا ما عن اليهود وستجد في كل مكان الشيء ذاته ، الاعمال البطولية نفسها ! واظنك تتفق معي ان اي حدث يعني شيئا ما ويشير الى شيء ما ويكشف لك شيئا ما حتى لو كنت تجهل جهلا تاما تاريخ الاربعين قرنا لهذه العشيرة . وسيردون طبعا بان الجميع تتملكهم مشاعر البغضاء نحو اليهود ولذا فهم يكذبون وفي هذه الحالة ينبثق سؤال اخر : اذا كان الجميع يكذبون ويكرهون اليهود فمن اين جاءهم هذا الكره ؟ ان شيئا ما يعني بغضا عاما ولوكتب بيلنسكي عن هذا لهتف « ان شيئا ما يعني الجميع » .

يطالبون الاطهار « بالاختيار الحر لمحل السكن » ولكن هل الروسي المواطن « الاصلي » حر تماما في اختيار محل السكن ؟ الم يزل الوضع السابق الممتد من العهد العبودي مستمرا ؟ الم يزل التضييق البغيض ـ بكل ما في هذه الكلمة من معنى ـ في اختيار مكان السكن للروس البسطاء مستمرا بالرغم من لفت انظار الحكومة لذلك منذ زمن بعيد ؟ اما بالنسبة لليهود فالجميع يرون ان حق اختيارهم مكان السكن ازداد باطراد ولا سيما في السنوات العشرين الخالية . وهم على الاقل يسكنون في روسيا في اماكن لم يعيشوا بها سابقا . ومع ذلك يشكون دائما من روح البغضاء تجاههم والتضييق عليهم . ولنفرض ان الماضي بحياة اليهود غير واسع ، لكنني اعرف شيئا واحدا وساناقش الجميع على اساسه : وهو ان شعبنا لا يكن كرها دينيا مسبقا او اي تحيز نحو اليهود كالفكرة القائلة «خان يهوذا المسيح » واذا سمعت هذا فمن الاطفال او السكارى ، لان شعبنا ينظر لليهود بدون تحيز سابق . لقد شاهدت هذا منذ خمسين سنة . وقد حدث ان عشت مع الشعب وجماهيره في سجن واحد ونمت معهم على نفس الاسرة وكان بيننا بعض اليهود ولم يحتقرهم او يضطهدهم او يستنثهم احد . وعندما كان اليهود يصلون بصوت عال يشبه الصراخ ويلبسون ثيابا خاصة لم يستغرب احد ذلك ولم يضحك ، الامر الذي يجب انتظاره حسب مفهومنا من شعب خشن كالشعب الروسي ، بل على العكس فعند ما كان ينظر الناس البسطاء يقولون « هم يصلون هكذا لان عقيدتهم على هذه الشاكلة » ويمرون قربهم بهدوء بل باستحسان . وماذا فعل اليهود ؟ لقد ابتعدوا عن هؤلاء الروس ولم يرغبوا في تناول الطعام معهم ونظروا اليهم بتعال :واين حدث ذلك ؟ في السجن !. وكانوا يظهرون بشكل عام مشاعر الاشمئزاز والقرف من الروس السكان الاصليين . ونجد الشيء نفسه في ثكنات الجنود وفي كل انحاء روسيا . زوروا كل مكان واسالوا هل يسيء احد الى اليهودي كيهودي بسبب معتقداته وعاداته ؟ انهم لا يسيئون اليه في اي مكان بل على العكس ، ثقوا ان الروسي البسيط يرى اليهود ويفهم انهم لا يرغبون في تناول الطعام معه ويقرفون منه ويبتعدون عنه ويتجنبونه بقدر ما يستطيعون ولا يخفون ذلك . وبدل ان يستاء الروسي البسيط من هذه النظرة فانه يقول بهدوء وبساطة « عقيدتهم على هذه الشاكلة وبسبب عقيدتهم يتجنبون الاكل معنا » ـ لا لانهم شريرون ـ ولهذا يعذر الروسي اليهودي على تصرفاته . وتخطر في بالي احيانا فكرة خيالية ، ماذا يحدث لو كانت الوضعية مقلوبة ، لو كان هناك ثلاثة ملايين روسي وثمانون مليونا من اليهود ، فماذا كانوا يعملون بالروس ؟ وباي شكل من الاشكال يحطون من كرامتهم ؟ والى اي درجة يستصغرونهم ؟ ايسمحون لهم بالمساواة معهم في الحقوق ؟ ايسمحون لهم بالصلاة بينهم بحرية؟ الا يحولونهم مباشرة الى عبيد ؟ والاسوا من هذا الا يسلخون جلودهم تماما ؟ الا يضربونهم ضربا شديدا حتى الموت ؟ كما فعلوا مع الشعوب الاخرى قديما في تاريخهم الغابر ؟ ان الشعب الروسي لا يحمل في نفسه كرها لليهودي ولكنه لا يكن له العطف ، والسبب في

ذلك لا يعود لكونه يهودياً ،ولا بسبب دينه او عشيرته التي ينتمي اليها بل لعوامل اخرى يتحمل مسؤوليتها اليهود لا الشعب الروسي الاصلي .

دولة داخل دولة .. اربعون قرنا من الحياة

يتهم اليهود السكان الاصليين بالكره والتحامل . وما دام الحديث قد جرى عن التحامل ، فماذا تعتقدون : هل تحامل اليهود على الروس اقل من تحامل الروس على اليهود ؟ أليس اكثر منه ؟ لقد ذكرت مثلا عن نظرة الروسي البسيط الى اليهودي وامامي رسائل يهودية لا من بسطاء اليهود بل من المثقفين ! فيها من البغضاء نحو « السكان الاصليين » شيء كثير . انهم يكتبون ولا يلاحظون ذلك .

أرأيتم شعبا يعيش اربعين قرنا على الارض في جميع المراحل التاريخية التي مرت بها البشرية وبمثل هذه الوحدة والتماسك ويفقد مرات عديدة ارضه واستقلاله السياسي وقوانينه وحتى معتقداته ،يفقد كل هذا ثم يتجدد ثانية ويبعث افكاره السابقة ولو تحت شكل آخر ويضع قوانين لنفسه مرة اخرى . لا ليس هنالك شعب عنده قابلية على العيش مثل هذا الشعب القوي والحيوي . ان مثل هذا الشعب الذي لا نظير له في العالم لا يستطيع البقاء لولا تكوينه دولة داخل كل دولة يعيش فيها ويحافظ عليها دائما في كل مكان وكل زمان حتى اثناء تشتته عبر الاف السنين . وعندما اقول ان اليهود يكونون دولة داخل دولة ، فانا لا اريد ابدا ان اوجه تهمة لهم . ولكن بماذا تتحدد سمات هذه الدولة داخل الدولة وما هي الفكرة الخالدة التي توجهها على مر القرون ؟ وما هو جوهر هذه الفكرة ؟ ان تلخيص ذلك يحتاج لوقت طويل لا تتسع له هذه المقالة ولم يحن الوقت على الرغم من مرور اربعين قرنا لكي تعطي البشرية حكمها القاطع على هذه العشيرة . ويمكننا دون التعمق في ماهية هذه القضية ان نعطي بعض المميزات الخاصة لهذه الدولة داخل الدولة ، على الاقل لمظاهرها الخارجية . وتتلخص هذه المظاهر في : الابتعاد والنفور من الاخرين على اساس العقيدة الدينية وعدم الاندماج معهم والاعتقاد بوجود شعب واحد ـ هو الشعب اليهودي . اما الشعوب الاخرى فيجب اعتبارها غير موجودة . تقول تعاليمهم لليهودي :

« اخرج من الشعوب الاخرى وحافظ على ميزانك واعلم انك حتى الان وحدك عند الله ، ابد الاخرين او حولهم الى عبيد او استغلهم . آمن بانتصارك على العالم اجمع ، وآمن ان الجميع سيخضعون لك ، اتمخ على الجميع ولا تختلط طوال حياتك مع اي كان . وحتى عندما تفقد ارضك وشخصيتك السياسية وحتى عندما تتشتت على وجه الارض بين جميع الشعوب ، آمن مع كل هذا بما انت موعود فيه ابدا . آمن ان كل شيء سيتحقق . وعش الان . احتقر الجميع وانحد واستغل وانتظر وانتظر » .

هذه هي الفكرة الرئيسية في دولة داخل دولة ولديهم قوانين داخلية وربما تكون سرية للمحافظة على هذه الفكرة .

ستقولون أيها السادة اليهود المثقفون ان هذا هراء واذا كان لليهود دولة داخل دولة ،فقد كان ذلك سابقا ولم يبق سوى آثار قليلة والاضطهاد وحده مسؤول عن وجودها وخلقها ، ذلك الاضطهاد الديني العائد الى القرون الوسطى بل قبلها .فنشأت الدولة داخل الدولة من شعور المحافظة على البقاء فقط لا غير . واذا استمر وجودها في روسيا خاصة فالسبب ان اليهودي لا يتمتع بحقوق متساوية مع السكان الاصليين » . ولكني اعتقد أن اليهود حتى لو كانوا متساوين في الحقوق فانهم لن يتخلوا ابدا عن الدولة داخل الدولة. ولا يكفي الاصرار في المحافظة على البقاء لاربعين قرنا . فمن المضجر ان تحافظ على وجودك هذه المدة الطويلة . ان اكثر الحضارات قوة في العالم لم تحافظ على وجودها هذه المدة وفقدت قوتها السياسية ووجهها القومي .فالسبب الرئيسي لا يكمن في حب البقاء وحده وانما في فكرة متحركة ذات جاذبية عميقة وعالمية ربما لا تستطيع البشرية الان ان تصدر حكمها عليها كما ذكرت سابقا . اما انها تنطوي على طابع ديني فهذا ما لا يتطرق له الشك . ومن الواضح ايضا ان ربهم بافكاره المثالية وميعاده لهم يواصل قيادة شعبه نحو هدفه بصلابة . واكرر ثانية انه من الصعب تصور اليهودي بدون الله .ولا اؤمن بوجود « اليهود المثقفين الملحدين » انهم جميعا من طينة واحدة، والله وحده يعلم ماذا ينتظر العالم على أيدي هؤلاء اليهود المثقفين !. لقد قرأت وسمعت في طفولتي اسطورة عن اليهود ،بانهم الان ينتظرون المنقذ سواء منهم المعدم او الغني والعالم والفيلسوف والراسمالي ـ فهو الذي سيجمعهم ويقودهم ثانية الى اورشليم وعندها يستبعدون جميع الشعوب بسيفهم . ولهذا يفضل معظم اليهود عملا واحدا وهو تجارة الذهب وجمعه . وعند ظهور المنقذ سيكون عندهم وطن جديد ، فعليهم ان لا يرتبطوا بالارض الاجنبية التي يعيشون فيها . وان يجعلوا كل ما يملكونه ذهبا واحجارا كريمة لكي يسهل نقلها عندما يحين الوقت الى وطنهم الجديد :

ستلتهب اشعة الفجر وتلمع
وسنحمل الالات الموسيقية
والفضة والممتلكات والمقدسات
الى بيتنا القديم في فلسطين

اكرر ثانية انني سمعت هذا كاسطورة تروى عنهم ، ولكني اؤمن بوجود جوهر لهذه الفكرة ولا سيما عند جماهير اليهود التي تظهر ميلا غريزيا لا يقاوم . ومن اجل المحافظة على جوهر هذه القضية لا بد من المحافظة المشددة على الدولة داخل الدولة ، وقد حوفظ عليها فعلا . وليس الاضطهاد وحده مبعثها بالتأكيد وانما الفكرة ..

فاذا كان هذا البناء الداخلي الشديد لدى اليهود الذي يربطهم بشكل كامل وفريد حقيقيا فعندها يمكننا التفكير بقضية المساواة الكاملة في جميع الحقوق مع السكان الاصليين . يجب ان يقدم لليهود كل ما تتطلبه الانسانية والعدالة وكل ما تتطلبه التعاليم المسيحية . ولكن اذا كان اليهود انفسهم بكل اسلحة بنائهم وخصائصهم وعشيرتهم وابتعادهم الديني وبكل اسلحة قوانينهم ومبادئهم يناقضون تماما فكرة المساواة التي نمت نموا رائعا في العالم الاوروبي على الاقل ، ثم يطالبون بالمساواة الكاملة في جميع الحقوق الممكنة مع السكان الاصليين ، الا يعني ذلك انهم سيحوزون على شيء اكثر واعلى وازيد من السكان الاصليين ؟ يشير اليهود الى «ان القوميات الاخرى متساوية او شبه متساوية في الحقوق ، اما هم فلهم حقوق اقل من البقية لان الروس يخافونهم ويعتبرونهم اكثر اذى من بقية القوميات ، ثم يتساءلون ما اذى اليهودي ؟ واذا كانت صفات سيئة في الشعب اليهودي ، فسببها الوحيد هو الشعب الروسي نفسه الذي يساعد على بروزها لجهله وقلة ثقافته وعدم قدرته على الاستقلال وتأخر تطوره الاقتصادي .فالشعب الروسي نفسه بحاجة لوسيط ومرشد ووصاية في قضايا القروض والاقتصاد ،وهو نفسه يطلبها ويستسلم لها . ويقولون انظروا الى اوروبا تجدوا العكس ، فشعوبها قوية ومستقلة وتطورها الوطني قوي وهي معتادة منذ وقت بعيد على العمل المادي والفكري ، ولذا لا يخافون هناك من اعطاء اليهودي حقوقه ! هل سمعتم شيئا عن اذى دولة داخل دولة لليهود الموجودين في فرنسا مثلا «؟»

المناقشة قوية على ما يبدو ، وهناك مقطع آخر في الرسالة اود اقتطافه :« من الافضل لليهود ان يكون الشعب جاهلا ومقيدا او متأخرا اقتصاديا فعندها يحالفهم النجاح » .

وبدل أن يحاول اليهودي ـ بعكس ما يفعل ـ أن ينهض بمستوى التعليم ويقوي المعرفة ويرفع الامكانيات الاقتصادية في السكان الاصليين ، فانه حيثما عاش يسعى للحط من ذلك الشعب وافساده

وأذلال الناس وخفض المستوى الثقافي . والابشع من هذا أن اليهود ينشرون فقرا مدقعا لا انسانيا لا يمكن الخلاص منه . اسألوا السكان الاصليين في الارياف ماذا يحرك اليهودي وماذا كان يحركه عبر القرون الخالية ؟ وسوف تسمعون جوابا واحدا « القسوة » . لقد كانت القسوة المحرك الوحيد لهم تجاهنا ـ الفلاحين ـ والتعطش للارتواء من عرقنا ودمنا . وفي الواقع كان نشاط اليهود في الارياف ينحصر في جعل السكان الاصليين يرتبطون بهم ارتباطا لا مخرج منه مستفيدين من القوانين المحلية . انهم يملكون دائما امكانية الاستفادة من الحقوق والقوانين . وقد استطاعوا اقامة علاقات الصداقة مع اولئك الناس الذين يرتبط بهم مصير الشعب وشكوا لهم من قلة الحقوق التي يتمتعون بها بالمقارنة مع السكان الاصليين . ويستهل تاريخ الريف الروسي على ما حدث للشعب في عشر سنين او مئة سنة في الاماكن التي حل فيها اليهود . دلني على اية قومية اخرى في روسيا استطاعت ان تضاهي اليهود بتأثيرها الفظيع ؟ لن تجد أحدا . يظل اليهود فريدين في هذه الناحية بالمقارنة مع القوميات الروسية الاخرى . ويعود ذلك الى الدولة داخل الدولة التي تتنفس روحها من القسوة نحو كل شيء وعدم الاحترام لكل شعب وعشيرة ولكل وجود انساني .

ما معنى القاء تبعة سيطرتهم على الشعب الروسي ؟ في أعطاء برهان لذلك عدم سيطرتهم على شعوب أوروبا الغربية ؟ فقد ظهر الشعب الروسي على حد زعمهم اضعف من الشعوب الاوروبية الغربية ـ اعتقد ان السبب الوحيد هي ظروفه السياسية القاسية ـ ولذلك يجب اهلاكه بالاستغلال التام ، لا مساعدته ؟

عبثا يشير اليهود الى عدم ضرر الدولة داخل الدولة في اوروبا وفرنسا مثلا . لقد انهارت وتنهار هناك المسيحية وأفكارها بسبب الاوروبيين لا اليهود ولكن لا يمكن اهمال الاشارة الى الانتصار القوي الذي احرزته اليهودية في أوروبا بعد ان غيرت الكثير من افكارها السابقة . لقد كانت المادة اله الانسان دائما وفي جميع العصور . وكانت رؤية الحرية وفهمها في ضمان مستقبله مرتبطة بجمع النقود مهما كانت السبل . ولكن لم يحدث ابدا ان اصبح جمع النقود بصورة مكشوفة وبتوجيه مدروس المبدأ الاعلى كما حدث في عصرنا ـ القرن التاسع عشر ـ . « كل لنفسه فقط وكل اختلاط بالناس لغرض ذاتي لا غير » . هذا هو المبدأ الاخلاقي في عصرنا لا للسيئين من الناس بل للشغيلة والذين لايقتلون او يسرقون ايضا . ونجد القسوة نحو الجماهير المعدمة ونوبان الاخوة واستغلال الاغنياء للفقراء . لقد كان ذلك موجودا سابقا ولكن لم يرتفع لدرجة الحقيقة العليا والمعرفة . وقد أدانته المسيحية ،اما الان فعلى العكس اذ غدا الخير بذاته . وليس من العبث ان يسيطر اليهود هناك .. في اوروبا الغربية على البورصة في كل مكان ، وليس من العبث ان يحركوا الرأسمال وان يسيطروا على الاعتمادات ولذلك لم يكن بد من ان يسيطروا على السياسة العالمية . ثم ماذا سيحدث في المستقبل ؟ ستقترب سيطرتهم.. سيطرتهم الكاملة ! وتنتصر الافكار التي يتلاشى امامها حب الانسان والتعطش للحقيقة والمشاعر المسيحية والقومية وحتى الكبرياء الوطنية للشعوب الاوروبية . وتحل المادية والشبق الاعمى الظامىء للفردية والضمان المادي وجمع المال بكل الوسائل ، هو الهدف الاسمى المعقول الذي يحل محل افكار الخلاص المسيحية الداعية لوحدة الناس الاخلاقية والاخوة المتينة . سيضحكون ويقولون ان ما يحدث في اوروبا لا يرجع الى اليهود وليسوا السبب الوحيد بالتأكيد ، ولكن اذا كان اليهود قد ازدهروا وتمت لهم الغلبة في اوروبا في نفس الوقت الذي انتصرت البدايات المادية والفردية الجديدة لدرجة اصبحت المبدأ الاخلاقي الوحيد فلا يمكننا الا ان نستنتج ان لليهود تأثيرهم فيه. ويقول المعارضون :ان اليهود على العكس فقراء في كل مكان ولا سيما في روسيا وان علية اليهود وحدهم من الاثرياء واصحاب البنوك والبورصة وان تسعة اعشار اليهود معوزون وهم يجاهدون جهادا مرا في سبيل كسرة الخبز ويسألون عن عمل ويبحثون عن اقتطاع كوبيك . اجل يبدو ذلك حقيقة ولكن ماذا يعني ؟ يعني ان في عمل اليهود نفسه ـ غالبيتهم على الاقل ـ واستغلالهم شيئا خاطئا وغير طبيعي وغير منطقي يحمل في ذاته القصاص . يطلب اليهودي ان يكون وسيطا لاستغلال عمل غيره . فالرأسمال هو عمل متراكم واليهودي يحب التجارة بعمل غيره . ان كل هذا لا يغير شيئا ، فالعلية اليهودية تسيطر على البشرية محاولة بقوة وثبات ان تخلع على العالم شكلها وماهيتها . يصرخ اليهود باعلى اصواتهم ان بينهم اناسا طيبين . يا آلهي هل هذه هي القضية ؟ اننا لا نتكلم ابدا عن الناس الطيبين والسيئين . أليس بين الاثرياء اناس طيبون أيضا ؟ فهل كان الراحل جيمس روتشيلد انسانا سيئا ؟ اننا نتكلم هنا عن الغاية وافكارها، اننا نتكلم عن اليهودية والافكار اليهودية التي تهيمن على العالم بدل الافكار المسيحية .

لتعش الاخوة !

ماذا اقول ؟ ولماذا ؟ أحقا انني عدو اليهود كما تكتب مؤكدة فتاة يهودية مثقفة نبيلة . أحقا انني عدو « هذه العشيرة التعسة ، التي تهاجمها في كل فرصة تسنح لك » « ان احتقارك للعشيرة اليهودية ـ التي لا تفكر الا بنفسها ـ واضح » . انني لااتفق معها واناقش حقيقة كرهي لليهود نفسها . فعلى العكس انني اتكلم واكتب دائما « انه يجب اعطاء اليهود كل ما تتطلبه الانسانية والعدالة وما يتطلبه القانون المسيحي » . لقد ذكرت ذلك فيما سبق واضيف هنا ، على الرغم من الاعتبارات التي اوردتها فانني اقف كليا الى جانب توسيع حقوق اليهود القانونية والمساواة التامة مع السكان الاصليين على الرغم من تمتعهم حاليا في بعض الاحيان بحقوق اكثر ، او من الافضل القول ان لديهم امكانية الاستفادة من الحقوق اكثر من استفادة السكان الاصليين . وتمر الان في فكري هذه الفانتازيا : اذا انهارت بطريقة ما المشاعية الزراعية (٢) ـ التي تحمي الفلاحين الفقراء من شرور كثيرة ـ وتحرر الفلاح الساذج الذي لا يستطيع الصمود امام المغريات بعدما حمته المشاعية الى الوقت الراهن فعندها يطفى اليهود على الفلاحين باعداد غفيرة وبلحظة واحدة تأتي نهايتهم : فسيقع كل ما يملكونه وكل قوتهم في اليوم الثاني تحت سيطرة اليهودي ، وتحل حقبة لا يمكن مقارنتها بالعهد العبودي فقط بل حتى العهد التتري .

وعلى الرغم من جميع تصوراتي هذه وجميع ما ذكرت فانني اقف الى جانب المساواة الكاملة في الحقوق ،لان هذا ما يتطلبه قانون المسيح والمبدأ المسيحي . واذا كان هذا رأيي فلماذا اسود كل هذه الصفحات ؟ وماذا اردت ان اقول اذا كنت اناقض نفسي بهذا الشكل ؟ انني لا اناقض نفسي وما اردت ان اقوله بالضبط انه لا توجد اي عقبات من جانب الشعب الروسي ـ الجانب الرئيسي في الموضوع ـ في توسيع حقوق اليهود ، وأؤكد هنا ان العقبات في الجانب اليهودي اكثر بكثير مما هي في الجانب الروسي . واذا لم تتحقق المساواة التي اتمناها من كل قلبي ، فان الفرد الروسي اقل مسؤولية بكثير من اليهودي نفسه . وقد ذكرت ان اليهودي البسيط عندما رفض الاختلاط بالروس ورفض تناول الطعام معهم ،لم يغضبوا او ينتقموا منه ، بل على العكس فقد فكروا بتصرفه وعذوره قائلين « عقيدته

---

٢ ـ المشاعية الزراعية ـ منظمة زراعية قروية ، اساسها الادارة الذاتية . تقوم ببحث القضايا الزراعية وتقديم المساعدة للفلاحين . وجدت في القرن التاسع عشر .

على هـذه الشاكلة » . ونجـد اغلب الاحيان مثل هذا اليهودي البسيط بيـن اليهـود المثقفيـن الذيـن ينظرون بتحامل وتعجرف متناه نحـو الروسي .ولو انهـم ينادون بحبهـم للشعب الروسي ، حتى ان احدهم كتب لي معربـا عن جزعه لفقـدان الشعب الروسي دينه وعدم فهمـه شيئا من الديانـة المسيحية . ان هـذه الملاحظـة مبالغـة لا جـد لهـا بالنسبة لليهودي . وينبثق هنـا سؤال طبيعي : هل يفهم هذا اليهودي الواسع الثقافـة في الديانـة المسيحية ؟ ان صفات العجرفة والغرور التي يتسم بهـا الخلق اليهودي جد قاسيـة علينا نحن الروس . من منا لا يفهـم بعضنا الروس ام اليهود ؟ اقسم انني ازكي الروسي ،فهو على الاقل لا يكـن كرها دينيا لليهودي .اما بالنسبة للقضايا الاخرى فمـن هو اكثر تحاملا ؟ ها هم اليهـود يصيحون انهم قد اضطهـدوا وطوردوا لقرون عديدة ماذا يعني هذا ؟ لماذا لا يضعون في حسبانهـم الشعب الروسي عندمـا يتكلمون عن اليهود ؟ بينمـا نضعهم نحن الروس في الحسبان . فقد ارتفعت مرارا اصوات التأييد لحقوق اليهود بيـن الفئـة المثقفـة من الشعب الروسي .هل اهتم اليهود الذين يشكون من الروس ويهاجمونهم بالاضطهاد والمطاردة التي عاناها الشعب الروسي لقرون عديدة ؟ أيمكـن التأكيـد حقـا ان الشعب الروسي منذ تاريـخ وجـوده تحمـل مصائب وشرورا اقـل ممـا تحمـل اليهـود أينمـا وجـدوا ؟ ألـم يتحـد اليهـود غـالبـا مـع مضطهدي الشعـب الروسي ويثقلوه بالضرائب ثـم تحولـوا هـم انفسهم الـى مضطهديـن ؟ لقـد حدث ووقع ذلك ، فهذا تاريخ وحقائق تاريخية . ولم نسمع ابـدا ان الشعب اليهودي اعرب عن ندمه ولكنه يتهم الشعـب الروسي دائما بانه لا يكـن له حبا كبيرا .

« كفى ! كفى ! » سيحدث الاتحاد التام بيـن القوميات ولم يبق اختلاف في الحقوق ! ومن أجل ذلك ، اتوسل الى معارضي ومراسلي مـن اليهـود ان يكونـوا على العكس لطفاء نحو الروس وعادلين .فاذا كانت عجرفتهم و « تقززهم المرعب » نحو القومية الروسيـة مجـرد تحامل « نما تاريخيا » ولا يكمن في اسرار دفينة لقوانينهم وبنائهـم الداخلي فانه سيزول سريعـا ونتحـد معـا وفي اخوة تامة في سبيل المساعـدة المتبادلة والقضيـة العظمى وهي خدمة ارضنا ودولتنـا ووطننـا ! وعندئذ يخف الاتهام المتبادل وتتلاشى الاثارات الناتجة عنـه التي تعيـق الفهم الواضح للامور .

استطيع ان اضمـن هـذا من جانب الشعب الروسي . انه سيبدي اخوة تامة نحو اليهودي على الرغـم من الاختلاف في العقيدة ومـع الاحتـرام التام للواقـع التاريخي لهذا الاختلاف . ولكن الاخوة.... الاخوة الكاملة يجب ان تكـون من الطرفين !..ان الروسي سيتقبـل اليهودي اذا ابدى لـه الاخير شيئـا ما من الشعور الاخوي . اعلـم جيدا ان هناك بعض اليهـود الذيـن يبحثون ويتعطشون الـى حـب الانسان ويسعـون للتغلب على سوء التفاهم بين الناس . لن الـزم الصمت او اخفي الحقيقة لكي لا يكتئب هؤلاء الناس النافعون اويصيبهم الخور ولكـي اضعف قدر الامكـان تحاملهم واسهل بداية طريقهـم وقضيتهم ، فانا اتمنى التوسيع الكامل لحقوق اليهود وعلى الاقل حسب القابليـة التي يبديهـا الشعب اليهودي بالاستفادة من هذه الحقـوق دون الاساءة للسكـان الاصليين . وكان مـن الممكـن أن يتراجع الشعب الروسي اكثر ويتخذ خطـوات كبرى ولكن القضية مطروحة بالشكل الاتي: ابمستطاع هؤلاء الناس الطيبين الجدد من اليهود تحقيق شيء ماوالى اي حد يصل استعدادهـم لهـذه القضيـة الرائعـة الجديدة وهـي الوحدة الاخوية مع اناس غرباء عنهم في العقيدة والدم ؟

أُصُولُ الفِكرِ المَاركسِيّ

تاليف او غست كورنو

ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهـد

رحلة من داخل الفكـر الماركسي وتأصيل للحركة الماركسية في الفكر الالماني قبل ماركس بـدءا مـن الفلسفة العقلانية الى الحركة الرومانتية ثم وقفة كبيرة عند هيغل من حيث هو مصدر غنى للفكـر الماركسي ثم وقفة كبيرة أخرى عند اليسار الهيغلي بصفة عامة ولودفيغ فيورباخ بصفة خاصة .. وهنـا يهتم المؤلف بابراز فكرة الاغتراب عند كل من هيغل ثـم موسى هس وفيورباخ ، وهي تلـك الفكرة التي اثرت على ماركس الشاب وبحث في المكونات الفلسفية وتطـوره الفكري حتى البيان الشيوعي بعـد أن تكون رحلة الاصول قد استكملت ..

والمؤلف واحد من كبار المفكرين الماديين واستاذ للتاريخ الثقافي بجامعة همبولدت ببرلين .. وهو مـن اوائل من اهتموا بمشكلة الغربة عند ماركس وركز على مخطوطة ماركس الاقتصادية والفلسفية التـي نشرت في الثلث الثاني من القرن العشرين وعدلت النظر الى كارل ماركس ..

الثمن ٣٠٠ ق.ل

صدر حديثا ـ عن دار « الاداب »